فوائد من معجم شيوخ الطبراني

الاستاذ مطاع الطرابيشي

معاجم الشيوخ لون من الوان التصنيف عند المحدّثين ؛ يمثّل ثمرةً من ثمرات الرحلة في طلب الحديث . ولاريب في أن هذه الكتب ـ الى جانب فوائدها الحديثية الأصيلة ـ تشتمل على فوائد أخرى قيّمة ؛ إذ هي مصدر عظيم الشأن في البلدانيات ، ونظرةٌ لامحةٌ في معجم ياقوت الحموي تفي بالبيان والبرهان . وهي في الوقت نفسه مجالٌ رحيب لرصد الحياة الثقافية والنشاط العلمي في العصر الذي تنتمي اليه .

أما الطبراني المعنيّ بالعنوان فهو المحدّث المعمّر صاحب الرحلة الواسعة ؛ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخميّ الطبَراني ، نسبة الى طبرية ؛ مدينة مُشرفة على البحيرة المنسوبة اليها في فلسطين . وُلد في طبرية أو عكّاء عام ستين ومائتين للهجرة ، وتوفي بأصبهان سنة ستين وثلاثمائة للهجرة .

ولقد كانت المعاجم الثلاثة أجلَّ أعمال الطبراني ؛ فاشتُهر بها وعُرفت به ؛ فما يكاد يُذكر اسمه إلا مقروناً بها .إنها « المعجم الكبير » في أسماء الصحابة وتراجمهم ومارووه عن رسول الله ﷺ ، و« المعجم الاوسط » جمع فيه فرائد الاحاديث التي رواها عن شيوخه ، و « المعجم الصغير » في أسماء شيوخه . وقد رتّب معاجمه الثلاثة على حروف المعجم في أوائل الاسماء .

وهذا البحث يدور حول المعجم الصغير بخاصةٍ ؛ لقد اشتُهر بهذا

الاسم نظراً للطافة حجمه بالقياس الى المُعْجَمَيْن الآخرَيْن ؛ لكن اسمه الحقيقي هو معجم شيوخ الطبراني ، وبه ذُكر في ثَبَت الكُتب التي وردَ بها الخطيب البغدادي دمشق[١] ، وكذلك ذكره السمعاني في الأنساب (٨/٢٠٠) ، والذهبي في تاريخ الاسلام (ل : ٦٥ / أ)[٢] ، والصفدي في الوافي (مج ٨/ل ١٦٢)[٣] .

أما تاريخ تأليفه فيرجع ـ فيما ظهر من البحث في تراجم رواته الأوَّلين ـ الى الفترة الأخيرة من حياة مصنِّفه ؛ فالراوية المشهور لهذا الكتاب وهو (أبو بكر بن رِيْذَه) مولود في سنة ستٍّ وأربعين وثلاثمائة[٤] ، ولا يصح سماعه للكتاب قبل بلوغه خمس سنوات على الاقل ، ومعنى ذلك أن تاريخ تأليف الكتاب يجب أن يكون في العشر الاواخر من حياة الطبراني .

هذا الكتاب يُعَدّ بحق في طليعة معاجم الشيوخ المعروفة «صحيح» أنه سبقه في هذا المضمار مشيخات عدة : لابراهيم بن طَهْمان (ت ١٦٣) ويعقوب بن سفيان الفَسَوي (ت ٢٧٧) ، وأبي عبد الرحمن النَّسائي (ت ٣٠٣) ، وأبي يَعلى الموصلي (ت ٣٠٧) ، وأبي القاسم البَغَوي (ت٣١٧) ، ومحمد بن مخلد الدُوري (ت ٣٣١) ، وأبي العباس بن عُقْدة (ت ٣٣٢) ، وأبي سعيد بن الاعرابي (ت ٣٤٠) ، وعبد الصمد الطَّسْتي

---

(١) انظر الجزء في « تسمية ما ورد به الخطيب البغدادي دمشق من الكتب المصنفة » من مخطوطات المكتبة الظاهرية (ق : ٢٩ / أ)

(٢) مصورة المجمع بدمشق .

(٣) مصورة المجمع بدمشق .

(٤) العبر ١٩٣/٢

(ت ٣٤٦) وإبراهيم بن محمد الاصبهاني (ت ٣٥٣)[١] . لكنَّ الملاحَظ أن بعض تلك المشيخات لم يكن من صنع مَن نُسب اليه ؛ وإنّما قام بها عنه بعض تلامذته . كما أن بعضها الآخر ليس فيه استقصاء أو ترتيب . يضاف الى ذلك أن طائفة من هذه الكتب قد غدا الآن مفقوداً .

إنما الجدير بالتسجيل أن جُلَّ أولئك الذين تقدَّموا الطبراني في صنع المشيخات كانوا من شيوخ الطبراني نفسه ، كالنَّسائي وأبي يَعلى والبَغَوي وابن عُقْدة وابن الاعرابي ، ويبدو من المقارنة بين معجمي أبي سعيد بن الأعرابي وأبي القاسم الطبراني أن هذا الاخير اقتفى أثر شيخه في صنيعه ؛ لكن عمله امتاز بإضافة تحسينات غير قليلة على عمل شيـخه .

كما تبدو لنا قيمة هذا الكتاب في كثرة نُسَخه المخطوطة المتناثرة في أرجاء المكتبات العالمية ، مما يدل على سعة انتشاره في الأزمنة الماضية ، فقد استقرت نُسخه في مكتبات القسطنطينية والهند والإسكوريال والمتحف البريطاني والازهر والمدينة المنورة[٢] .

ومع ذلك لم يكن حظُّ هذا الكتاب من الطباعة حسناً ؛ فقد طُبع مرتين : في دلهي سنة (١٣١١ هـ) ثم في القاهرة سنة (١٣٨٨ هـ) ، ومن المؤسف أن كلتا الطبعتين لم تتوفر لها شروط النشر العلمي ؛ فظهرت تفيض بالخطأ والتصحيف ، ولولا خشية الإطالة لعرضتُ نماذج من أخطائهما ؛ وما أكثرها .

---

(١) انظر الرسالة المستطرفة (ط. الثالثة ، ص : ١٣٥ ـ ١٣٨) ، وبحوث في تاريخ السنة المشرفة (ص : ١٥٠ ـ ١٥١) ، وفهرس الاستاذ ناصر الدين الالباني (ص: ٣٧٤،٢٥،٤)

(٢) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ٤٨٦

قدّم الطبراني لمعجمه هذا بقوله : « هذا كتاب فوائد مشايخي الذين كتبتُ عنهم بالأمصار ؛ خرّجتُ عن كل واحد منهم حديثاً واحداً ، وجعلتُ أسماءهم على حروف المعجم. »[1] .

قلت : ولكنه ، فيما يظهر ، لم يلتزم هذه القاعدة التزاماً دقيقاً ؛ ذلك لأن عدد شيوخه المذكورين في الكتاب بلغ ألفاً ومائة وخمسين شيخاً ؛ على حين بلغ عدد الاحاديث التي أخرجها ألفاً ومائتين وتسعة أحاديث[2].

* * *

١ ـ منهج البحث :

يمتاز هذا الكتاب بأنه يُقدم معلوماتٍ قيّمةً عن رحلة الطبراني الواسعة ، وعن توزّع مشيخته في الامصار ؛ فهو بذلك يُمكّن من استنتاج تصورات صحيحة عن مراكز الإشعاع الثقافي في العالم الاسلامي آنذاكَ ، وعن مدى نشاط كل منها .

على أن تحديدات الطبراني جاءت متفاوتة : تارة يذكر مكان سماعه من الشيخ وزمانه ، وتارة يكتفي بذكر مكان السماع فحسب ، وأحياناً يقتصر على ذكر نسبة الشيخ الى بلده أو قريته ، وقد يذكر اسم الشيخ مجرّداً من أي تحديد .

وبناء على ذلك ؛ فقد قمتُ بجرد كل قسمٍ على حدة ، ثم رتّبتُ الاقسام الثلاثة الاولى في قوائم موزعة على الأقطار ، وذكرتُ بجانب اسم

(١) المعجم الصغير ١/٧

(٢) وقعت للسابقين بعض اوهام في هذا المجال ، فظن بعضهم أن جملة احاديثه الف وخمسمائة حديث ، وظن آخرون ان عدد شيوخه الف شيخ ، وكل ذلك رجم بالغيب . (انظر الرسالة المستطرفة ١٣٦)

البلدة أو القرية عدد الشيوخ الذين سمع منهم فيها أو انتسبوا اليها . وبذلك أمكنَ التعرّف الى مسار رحلته مُحدّداً بالزمان والمكان ، كما أمكنَ تصنيف مشيخته على المدن ثم على الاقطار ، ومن ثمَّ الكشفُ عن ملامح الخارطة الثقافية للعالم الاسلامي في الربع الاخير من القرن الثالث الهجري،وذلك بتحديد المراكز العلمية العاملة فيه آنذاك،واستخراج نسبة مشاركة كل قطر في القيمة الإجمالية لمشيخة الطبراني(١) .

ولقد قاد البحث في هذا المجال الى نتائج محدّدة ، استدعت توسيع نطاق العمل ، بمقابلة الاحصاءات ونتائجها بإحصاءات أخرى في مصادر مماثلة ، لاستكمال الصورة من جهة ، وللتحقق من صحة النتائج المستفادة من جهة ثانية .

لذلك قمتُ بمراجعة فهارس «الطبقات الكبرى» لابن سعد (ت٢٣٠)، فأحصيتُ عدد الصحابة في كل قطر واستخرجتُ نِسَبَ توزّعهم في الامصار ، ثم قمتُ بإحصاء عدد التابعين من بعدهم واستخرجتُ نِسَبَ توزّعهم كذلك ، ثم صنعتُ الإحصاء نفسه للفقهاء والمحدّثين اعتباراً من ظهور بغداد سنة (١٤٥) وحتى آخر الطبقات حوالي سنة (٢٣٠) ، فكانت النتائج هنا مؤدّية الى النتائج هناك ومؤيّدة لها في الوقت نفسه ، وبذلك أمكن تعميم النتائج على القرون الثلاثة الاولى معا .

وقد كنتُ هممتُ أن أجري الاحصاء نفسه في مشيخة أبي القاسم بن عساكر (ت ٥٧١) ، لكنَّ ذلك يتطلّب جولاتٍ مماثلة في مشيختَيْ

(١) كان اعتمادي في العمل على النسختين المطبوعتين للتحقق ، لكني وجدت لدى المقابلة بينهما انهما متفقتان في الغالبية العظمى من الاخطاء ، فاكتفيت لذلك بالاحالة الى الطبعة الثانية.

أبي سعد السمعاني (ت ٥٦٢) وأبي طاهر السِّلَفي (ت٥٧٦) لتتبّع الحياة الثقافية في القرن السادس الهجري بصورة شاملة ؛ ممّا رجّح إرجاء هذا العمل الى بحث مفرد لذلك . على أن اطلاعي على جملة المدن التي ذكرها الحافظ السِّلَفي في « الاربعين البلدانية »[1] له ؛ أوحى إليَّ بأنَّ المعالم الاساسية للخارطة التي أظهرتها مشيخة الطبراني لم تتغيّر كثيراً في القرون الثلاثة التالية .

هذا ولم يخلُ البحث من بعض المصاعب : منها أن الطبراني أهملَ ذكر تواريخ سماعه في المراحل الاخيرة من رحلتـه ؛ فَتَعَمَّضَتْ تلك الفترة علينا ؛ وبخاصةٍ (المرحلة الايرانية) . كما بدا أن بعض التواريخ المذكورة في المعجم موضع نظر ، مع أنها مثبتة بالارقام والحروف معـاً في كلتا النسختين ؛ فقد ظهر خطأ بعضها واضطراب بعضها الآخر . ولقد أصبتُ في كتاب أبي نُعيم في « ذكر أخبار أصبهان » بعض الفـوائد في الكشف عن أحوال مشيخة الطبراني في أصبهان ، كما ظهر أن بعض أولئك المجاهيل الذين ذكرتُهم آنفا كانوا من أهل أصبهان . أما الارقام المضطربة فقد خصصتُها بدرسٍ مُفصَّل .

وعلى ذلك فسيأتي البحث على النسق التالي : رحلة الطبراني ، معالجة المشكلات والارقام ، تَوزُّع المشيخة ودلالاته . وسأثبت بآخر البحث قوائم في بيان توزع المشيخة ، وفهارس طبقات ابن سعد . ولستُ أزعم ـ بعد كل الحذر الذي أخذتُ به نفسي خلال هذا العمل ـ أن ماوصلتُ

(١) اسمها الكامل : « كتاب الاربعين المستغنى بتعيين مافيه عن المُعين » ، وهي من مخطوطات المكتبة الظاهرية ، برقم (مجموع ٧٦ : ق ٦ـ٢١) . وقد خرّجَ فيها الحافظ السِّلَفي أربعين حديثا عن اربعين شيخا باربعين مدينة ، من المدن التي زارها خلال رحلته .

اليه هو القول الفصل في هذا المجال • وإنما هو الرؤية المتأنية في حدود ما استشرفت من آفاق ؛ وأسأل الله التوفيق •

* * *

٢ ــ رحلة الطبراني :

بدأت رحلة الطبراني من طبرية في سنة (٢٧٤) ؛ حيث صحبه أبوه فزار به القدس[١] • وامتدت رحلته في أرجاء فلسطين أربع سنوات : من سنة (٢٧٤) الى سنة (٢٧٧) ؛ زار خلالها حواضر العلم في بلده •

ثم رحل في السنتين التاليتين : (٢٧٨ ـــ ٢٧٩) في سائر بلاد الشام ؛ فزار مدناً وقرى عدة في الداخل والساحل ؛ وفي الجزيرة ومنطقة الثغور المتاخمة للروم في الشمال •

ثم نزل جنوباً فكان في مصر سنة (٢٨٠) ، فبقي فيها نحواً من ثلاث سنوات • ثم غادرها الى الحجاز ، فكان في مكة والمدينة في سنة (٢٨٣) ، وربما سافر من (قُلْزُم) القريبة من مدينة السويس حالياً ، الى (أيلة) ، ومنها الى (جُدَّة) ، فمكة • والظاهر أنه حج في ذلك العام •

ثم تابع الرحلة في العام التالي قاصداً اليمن ؛ فكان في صنعاء سنة (٢٨٤) ؛ وزار شِبام وزَبيد والكدراء • ويبدو أنه عاد راجعاً الى مصر إذ سُجِّل وجوده فيها ثانية في سنة (٢٨٥) •

ثم ارتحل الى العراق ، فأقام في بغداد ثلاث سنوات ؛ من سنة (٢٨٦) الى سنة (٢٨٨) ، وطاف في تلك الاثناء مدن العراق والاهواز ؛ وقد كانت أكثر المراكز الثقافية تألقاً في العالم الاسلامي •

---

(١) أما ماذكره الذهبي في سير اعلام النبلاء من ان اول ارتحاله كان في سنة خمس وسبعين فهو وهم ، كشف عنه البحث في معجم شيوخ الطبراني •

ثم واصل الرحلة الى المشرق ، فزار أرَّجان وشيراز ، وكان في أصبهان سنة (٢٩٠) ، وما لبث أن خرج منها ؛ ثم عاد اليها ثانية بعد بضع سنوات ليستقرَّ فيها بصورة دائمة .

* * *

٣ ـ مشكلات وأرقام :

كان ذلك هو الوجهَ المتَسّق الواضح من رحلة الطبراني ، وبقيت مشكلاتٌ مطروحة للبحث ، قد لا نملك حتى الآن جوابا حاسما لبعضها، من ذلك هذا السؤال :

● متى كان تاريخ قدمته الثانية الى أصبهان ؟

توزعت الاجابةَ عن هذا السؤال أقوالٌ شتّى ، وهذا بيانها :

١ ـ ذكر الطبراني في معجم شيوخه سماعَين له في أصبهان : الأول سنة (٢٩٠) ، والثاني سنة (٢٩٥)(١)

٢ ـ وذكر تلميذه أبو نُعيم أن شيخه الطبراني « قدم أصبهان سنة تسعين ومائتين،فخرج منها ثم قدمها ثانياً فأقام بها محدِّثاً ستين سنة »(٢) ومعنى ذلك أن قدمته الثانية كانت على رأس الثلاثمائة ، لأنه توفي سنة سنة ستين وثلاثمائة ، كما هو معروف .

٣ ـ ونقل أبو زكريا بن مَنْده عن إبراهيم بن يحيى بن مَنْدَه ما يفيد بأن القدمة الثانية كانت في سنة أربع وثلاثمائة . ثم نقل عن أبي بكر بن مردويه أنها كانت في سنة عشرٍ أو احدى عشرة وثلاثمائة(٣) .

---

(١) المعجم الصغير ١/٦٤ ، ٢/٥١

(٢) ذكر أخبار أصبهان ١/٣٣٥

(٣) جزء في مناقب الطبراني ، لأبي زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده (ق:٣/أ ـ ب).

٤ ـ على حين ذكر ياقوت أن الطبراني قدم أصبهان في سنة تسعين، فأقام بها سبعين سنة حتى مات[1] .

قلت :

ان ما ذكره ياقوت خطأ صريح ، لأن دخول الطبراني أصبهان مرتين أمر محقق . أما التاريخ الثاني المذكور في المعجم الصغير فقد ظهر خطؤه لأسباب سأبيّنها في فقرة تالية .

وتبقى بعد ذلك الارقام التالية : « ٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣١٠ ، ٣١١ » مرشّحة لتحديد تاريخ قدمته الثانية الى أصبهان . والظاهر أن الصواب في الرقم الثاني منها ، أي أن عودته كانت في سنة (٣٠٤) وذلك لسببين :

الاول: هو أن هذا التاريخ موافق لبحثنا التالي عن مدة رحلته الكاملة.

والثاني : أنه أثر عن رجل رافق الطبراني في أصبهان في المرتين .

«قال إبراهيم بن يحيى بن منده[2]: قدم أبو القاسم الطبراني أصبهان أول كرّة ، فكنت أماشيه يوماً فسألته عن سنّه فأخبرني به . ثم غاب وعاد في القدمة الثانية بعد أربع عشرة سنة ، فكنتُ أماشيه يوما الى المدينة فسألته في « ميدان فاخر » عن مولده فقال : أبا إسحق ، أخذتَ في مثل هذا ! فقلتُ : أيش عملتُ ؟ فقال : أليس قد سألتني عن مولدي في تلك السنة في قدمتي الاولى بباب دار محمد بن مقرّن فأخبرتك به ؟! »

قلتُ : فإذا كانت قدمته الاولى في سنة (٢٩٠) فذلك يعني أن قدمته الثانية كانت في سنة (٣٠٤) كما ذكرنا آنفاً . ويبرز هنا سؤال كبير : ترُاه

(١) معجم البلدان ، طبرية ،
(٢) مناقب الطبراني (ق: ٣/أ)

أين قضى هذه المدة الطويلة بين القدمتين ؟ أرجع الى العراق أم تجوّل في المشرق ؟ هذا ما لم نستطع معرفته بعد .

● السؤال التالي هو : كم كانت مدة رحلته ؟

اختلفت تقديرات المؤرخين في هذا الامر اختلافا بيّنا ، فهي عند ابن خلكان — وتابعه القنّوجي وبروكلمن — ثلاث وثلاثون سنة ، وعند الذهبي ست عشرة سنة[١] .

أما القول الفصل في هذه المسألة فقد جاء على لسان الطبراني نفسه ؛ إذ سئل عن كثرة حديثه فقال : « كنت أنام على البواري ثلاثين سنة »[٢]

والبواري : جمع بُوريّ ؛ وهو الحصير المنسوج من القصب ، وقد عنى به حُصُر المساجد التي كان ينام عليها أثناء رحلته ، والظاهر أن طلبة العلم كانوا ينزلون المساجد خلال أسفارهم واغترابهم عن أوطانهم[٣]

وبما أنه قد ثبت لدينا من معجم شيوخ الطبراني أن بداية رحلته كانت في سنة (٢٧٤) ، فذلك يعني أن تاريخ قدمته الثانية الى أصبهان بقصد الاقامة والاستقرار كان في سنة (٣٠٤) كما مرَّ بنا آنفاً .

وهنا لابدَّ من التمييز بين مدة رحلته ومدة سماعه ؛ لأن سماعه للحديث سابقٌ على رحلته ، ومتأخر عنها أيضاً ، فقد ذكر الطبراني في معجمه أسماء شيوخٍ سمع منهم بأصبهان بعد استقراره بمدة .

المهم اذن هو البحث عن بداية سماعه : لقد طلب الطبراني العلم

---

(١) انظر : وفيات الاعيان ٤٠٧/٢ ، وابجد العلوم ٨٢٧/٣ ،وتاريخ بروكلمن (النسخةالمعربة) ٢٢٤/٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٧٣/١٠

(٢) مناقب الطبراني (ق : ٤/أ) ، وعنه سير أعلام النبلاء ١٧٤/١٠

(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري (ص : ٣)

بعناية أبيه في وقت مبكر من حياته ، وأول خبر وصلنا بهذا الصدد يرجع الى سنة (٢٧٣) حين سمع بطبرية من هاشم بن مَرْثَد الطبراني[١] وله من العمر اذ ذاك ثلاث عشرة سنة .

ويبدو أن الذهبي اعتبر هـذا التاريخ بداية لسماعه الحديث[٢] ، وتابعه في ذلك الصفدي[٣] وابن شاكر الكتبي[٤] وزادا : « من دُحَيْم لما قدم طبرية » .

والحق أن ما ذهب اليه الذهبي فيه نظر ، اذ لا يصح استنتاجه من هذا الخبر ؛ لأنه تاريخ أحد السماعات العشرة في طبرية التي كشف عنها المعجم ، ولم يُصرِّح الطبراني فيه بما قاله الذهبي فيما بعد . ثم إن سماع الصغار كان مألوفاً آنذاك ومعتمداً لديهم منذ بلوغ الطفل الخامسة من عمره . هذا وقد كان أبوه اعتنى به منذ صغره ، ورافقه بعدُ في رحلته ، ولعل فؤاد سزكين كان أقرب الى الصواب حين جعل بدء دراسته للحديث في العاشرة من عمره ؛ أي في سنة (٢٧٠)[٥]

أما زعمُ سماعه من دُحَيْم فهو وهمٌ نشأ من الخطأ في فهم عبارة الذهبي في تاريخ الاسلام ، اذ قال : « سمَّعه أبوه ورحل به ، لانه كان له ماسَّةٌ بالحديث قد سَمع من دُحَيْم لما قدم عليهم طبرية »[٦] ، فالاب هو الذي سمع من دُحَيْم ، أما الابن فلم يسمع منه ؛ لأن دُحَيْماً توفي سنة

(١) المعجم الصغير ١٣٦/٢
(٢) سير اعلام النبلاء (١٧٣/١٠) وتاريخ الاسلام (٦٤/١)
(٣) الوافي بالوفيات ١٦٢/٨
(٤) عيون التواريخ ١٤٢/١٢
(٥) تاريخ التراث العربي ٤٨٤
(٦) تاريخ الاسلام ٦٤/١

(٢٤٥)[١] أي قبل ولادة أبي القاسم بخمس عشرة سنة .

● السؤال الاخير هو : الى أين انتهت رحلاته في الاقطار ؟

للإجابة عن هذا السؤال يحسن فرز كل جهة على حدة :

١ ــ ففي الشمال : في منطقة الثغور التي كانت خـط التماسّ بين العرب والروم في شمال بلاد الشام ، نستطيع أن نتصور خطاً وهمياً يصل ــ من الشرق الى الغرب ــ ما بين : نصيبين ، ورأس العين ، وحرّان ، والمَصيصة ، وأذَنَة ، وطَرَسُوس . فهذا الخط هو الغاية القصوى لرحلته في الشمال كما يظهر من معجم شيوخه .

٢ ــ أما في الغرب : فقد ذكر الطبراني في المعجم سماعاً له من (أحمد ابن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي)[٢] . لكن ابن عساكر ، وعنه ياقوت ــ فيما يظهر ــ حرّفا العبارة فقالا : « سمع ببرقة أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البَرْقي »[٣] .

ثم نقل ياقوت في موضع آخر من معجمه ، عن المؤرخ المصري ابن يونس ، أنه : « ذكر أحمد بن عبد الله في البرقيين ، وذكر أخاه محمداً في المصريين ، وقال : انه كان يتّجر هو واخوته الى برقة فعُرف بالبَرقي ، وهو من أهل مصر »[٤] .

قلت : ويبدو الاضطراب واضحا في نقول ياقوت . ثم ان الطبراني لم يسمع من أحمد البرقي هذا ، وانما سمع من أخيه عبد الرحيم ووهمَ في تسميته ، وذلك وهم" مشهور عنه[٥] .

---

(١) العبر ١/٤٤٥

(٢) المعجم الصغير ١/٤٨

(٣) تاريخ مدينة دمشق (نسخة ب : مج ١١/ل٤٤٧) ، ومعجم البلدان ، طبرية ،

(٤) معجم البلدان ، برقة ،

(٥) سير أعلام النبلاء (مج ١٠/ل ١٧٥/ب)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكذلك نرى أن الطبراني لم يتجاوز مصر الى جهة الغرب البتة.وليس لدينا ــ بهذه المناسبة ــ مايُثبت نزوله جنوباً الى صعيد مصر •

٣ ــ أما في المشرق : فالظاهر أن رحلة الطبراني في ايران قد وقفت عند الخط الواصل مابين أصفهان شمالا وشيراز جنوبا ، وإن كان هناك احتمال قوي تشير اليه مشيخته،وهو أنه ربما بلغ الريّ شمالا ، ونيسابور شرقاً ، والله أعلم •

* * *

وبعد ، فقد وجـدتُ في المعجم أرقاماً تدعو الى الريـب ، طرحتْ بوجودها سؤالاً غريبا : ترى هل هي سهو من الطبراني لم تُسعفه ذاكرته بصوابه ، أو تصحيف من عمل الناسخين أو الطابعين ؟! لقد اعتمدتُ في بحثي النسختين المطبوعتين ، وتبيَّنَ أنهما تجتمعان على الخطأ الواحد مع أن الارقام مؤيَّدة فيهما بالحروف ، ولم أتمكَّن بعدُ من الاطلاع على الاصول المخطـوطة للمعجم الصغير ، ويغلب على ظنّي ــ والاسبـاب سأذكرها ــ أن بعض تلك الاخطاء يرجع الى ذاكرة الطبراني نفسه ، وإن كان من الثابت أن في المطبوعتين تصحيفاتٍ كثيرة من عمل الناشرين •

الرقم الاول : في سماعه من محمد بن أسـد بن يزيد الاصبهاني ، بمدينة أصبهان سنة (٢٩٥)(١)

هذا الرقم لا يصحّ ؛ لأن الرجل توفي قبـل سنتين من التـاريخ المذكور ؛ فقد :

ا ــ ترجمه أبو نُعيم الاصبهاني وقال : « كان من المعمَّرين ، توفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين » • ثم روى الحديث المذكور في (المعجم

(١) المعجم الصغير ٢/٥١ ، وانظر الطبعة الهندية ص ١٨٨

الصغير) عن شيخه الطبراني عنه، لكن من غير ذكر للتاريخ المشار إليه[١]

ب ــ وذكره أبو الشيخ الاصبهاني ــ وهو من طبقة الطبراني ــ فقال: « كنتُ أصير إليه مع والدي قاصداً للدعاء، وكان من المعمَّرين، مات سنة ثلاث وتسعين ومائتين »[٢]

ج ــ ثم أرَّخ الذهبي في « العبر » وفاة هذا الرجل في سنة ثلاث وتسعين ومائتين[٣].

فهذا الاجماع ينفي صحة الرقم المذكور أولا، ولعل صوابه: سنة تسعين ومائتين.

الرقم الثاني: في حديثه عن عبدان بن محمد المروزي، سمعه منه بمكة سنة (٢٨٧)[٤]

ومن الغريب أن هذا الحديث نقله الذهبي في ترجمة عبدان بن محمد في « سير أعلام النبلاء » ونقل معه الرقم نفسه، وأضاف: « لقيه الطبراني في الحج »[٥].

هذا الرقم محلّ نظر؛ لأنه يُصادم أرقاماً أخرى بيَّنَتْ أنه كان في تلك السنة ببغداد، وأن تاريخ وجوده بمكة يرجع الى سنة (٢٨٣). ترى أحجَّ ثانية في ذلك العام ورجع من فوره الى بغداد، أم أن في الرقم خطأً؛ والصواب (٢٨٣)؟ الله أعلم.

---

(١) ذكر اخبار اصبهان ٢/٢٣٢

(٢) طبقات المحدثين بأصبهان لابي الشيخ الاصبهاني، نسخة الظاهرية، : ٢٣٨

(٣) العبر ٢/٩٦

(٤) المعجم الصغير ١/٢٣٤، وانظر الطبعة الهندية ص ١٣٥

(٥) سير أعلام النبلاء، مصورة المجمع بدمشق م: مج ٩ / ل ١٤١

الرقم الثالث : في سماعه من إبراهيم بن سُويد الشِّبامي ، بمدينة شِبام باليمن ، سنة (٢٨٢)[١] .

هذا الرقم لايمكن الاطمئنان الى صحته ؛ لأنه يستلزم أن يكون الطبراني غادر مصر الى اليمن سنة (٢٨٢) ، ثم انتقل الى مكة والمدينة سنة (٢٨٣) ، ثم عاد ثانية الى صنعاء سنة (٢٨٤) ، ثم رجع الى مصر سنة (٢٨٥) ، وذلك مُستبعد في تلك الظروف .

وزاد الامرَ تعقيداً أن البيهقي ذكر في (السنن الكبرى ١٠/٢٢٨) أن الطبراني سمع من الرجل المذكور في شِبام باليمن سنة (٢٧٨) وهو رقم غير صحيح أيضا ، لأنه كان في تلك السنة بالشام ، لم يخرج منها بعدُ .

ومن دلائل التحريف في هذا الرقم ، أنه ورد قبله بصفحة واحدة حديث سمعه الطبراني بصنعاء سنة (٢٨٤)[٢] . والغالب على ظني أن الحديث الذي سمعه بشِبام ــ وهي قريبة من صنعاء ــ كان في السنة نفسها أيضا ، والله أعلم .

الرقم الرابع : في حديثه عن إبراهيم بن اسماعيل الرَّقّي سنة (٢٩٩)[٣] ، وهو خطأ ثانٍ ورد في صفحة واحدة مع الخطأ السابق ، وقد جاء مقترنا بجملة محرّفة لايستبين معناها ؛ مما يؤكد احتمال الخطأ[٤] .

هذا الحديث سمعه الطبراني من رجل من أهل الرقّة ، ومن الثابت لدينا أنه كان في الشام سنة (٢٧٩) ، وعلى ذلك يكون الرقم المذكور أولا

(١) المعجم الصغير ١/٧٩ ، وانظر الطبعة الهندية ص ٤٢

(٢) المعجم الصغير ١/٧٨

(٣) المعجم الصغير ١/٧٩ ، وانظر الطبعة الهندية ص ٤٢

(٤) وانظر لسان الميزان ١/٤٠٥ ، ففيه السند نفسه وقد خلا من الجملة المحرّفة .

تصحيفاً لهذا الرقم ، وصواب العبارة فيما أرى هو : « حدثنا بها سنة تسع وسبعين ومائتين » ، والله أعلم .

* * *

٤ ــ توزُّع مشيخة الطبراني على الامصار

أثبتُّ توزّع شيوخه بصورة مفصّلة في قوائم ملحقة بآخر البحث، وأكتفي الآن بعرض الخلاصة التالية :

ا ــ عدد الشيوخ :

١ ــ العراق ٤٢١ شيخاً
٢ ــ الشام ٢٣٦شيخاً (منهم ٥٧ في فلسطين)
٣ ــ إيران ٢٢٣ شيخاً (منهم ٦٧ في الاهواز)
٤ ــ مصر ١٣٢ شيخاً
٥ ــ الحجاز واليمن ٤٣ شيخاً

المجموع ١٠٤٥ شيخاً*

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ب ــ نِسب توزُّعهم :

١ ــ العراق ٤٠٪
٢ ــ الشام ٢٢٫٥٪
٣ ــ إيران ٢١٫٥٪
٤ ــ مصر ١٢٪
٥ ــ الحجاز واليمن ٤٪

---

* ويبقى بعد ذلك (١٠٥) من الشيوخ لم يذكر الطبراني مكان لقائه بهم ، أو نسبتهم الى بلد من البلدان .

ج ــ توزّع المراكز الثقافية :

١ ــ الشام ٤٧ (منها ١٥ في فلسطين)
٢ ــ ايران ٢٨ (منها ٨ في الاهواز)
٣ ــ العــراق ١٤
٤ ــ الحجاز واليمن ١١
٥ ــ مصــر ٩
المجموع ١٠٩**

* * *

النتائج المستفادة

أولا ــ الصورة العامة

تقدمت العراق سائر الاقطار العربية والاسلامية ، ثم تلتها الشام وإيران ، وهذه الاقطار الثلاثة كان لها الحظ الأوفى في الحركة العلمية في ذلك العصر ، إذ حازت ثمانين ونيّفاً بالمئة من كامل عدد الشيوخ ، ومن مجموع المراكز الثقافية .

أما مصر والحجاز واليمن فقد كان نصيبها متواضعاً بالقياس الى الزمرة الاولى ، بل إن الحجاز واليمن أصبحتا في الدَّرْك الادنى من السلّم الثقافي ، وغاب المغرب العربي فلم تظهر له مشاركة في هذا المجال .

هذه الخارطة الثقافية للعالم العربي الاسلامي ليست ــ كما يبدو ــ وليدة مشيخة الطبراني ، ولا هي مقصورة على الربع الاخير من القرن الثالث الهجري ، بل إن ملامحها العامة بدأت في الظهور قبل أكثر مــن قرنين ، وازدادت وضوحاً مع ظهور بغداد سنة (١٤٥) ، فقد كان توزّع

** يمثل هذا الرقم مجموع المدن والقرى المذكورة في معجم شيوخ الطبراني .

الصحابة في الامصار ، ثم التابعين من بعدهم ، ثم الفقهاء والمحدثين الى سنة (٢٣٠) ؛ كان توزّع أولئك وهؤلاء يشير بصورة واضحة الى أسبقية العراق في كل الفترات .

ثم إن خطوطها العريضة ستترك آثاراً قوية على الخوارط اللاحقة حتى أواخر القرن السادس الهجري ؛ كما مرّ بنا في أوائل هذا البحث[1].

* * *

ثانيـا ـ الكشف التفصيلي :

(العـــراق)

نالت العراق حصة الاسد في مشيخة الطبراني ؛ إذ انتسب إليهـا (٤٠٪) من كامل مشيخته . كما بلغ عدد المدن والقـرى التي تردّد ذكرها في هذا المجال (١٤) مدينة وقرية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولابدّ ـ بهذه المناسبة ـ من الاشارة الى أن « إقليم الأهواز » في إيران هو في واقع الامر امتداد للعراق ؛ فكلّ الظواهر تدل على أن المناخ الثقافي السائد في الاهواز بخاصة إنما كان جزءاً من المناخ الثقافي السائد في العراق بعامة . وعلى ذلك فلو أضفنا مشيخة هذا الإقليم الى مشيخة العراق فإن النسبة ترتفع فتبلغ (٤٧٪) وعدد المراكز الثقـافية يصبح (٢٢) مركزاً .

فهذه الوفرة الغنيّة في عدد العلماء والمحدّثين ، الى جانب الكثافة الظاهرة في المراكز الثقافية ، أعطت للعراق الأسبقية المطلقة على سائر أقطار

(١) وبهذه المناسبة أود التنبيه ثانية الى ارتباط هذه النتائج بمصادرها ، ويبقى المجال رحبا لكل بحث جديد تابع من مصادر جديدة .

العالم العربي الاسلامي ؛ فكانت قطبَ الرحى ومنبع التوهّج الثقافي في قلب الدولة الاسلامية الواسعة الارجاء .

ولقد كشفت طبقات ابن سعد عن أن (٥٠٪) من الصحابة الذين تفرقوا في الامصار أقاموا في العراق ، ثم ارتفع الرقم من بعدُ فبلغت نسـبة التابعين المقيمين في العراق (٥٦٪) مـن التابعين المذكورين في الطبقات ، ثم ذهب الرقم صعُداً في الحقبة التالية فبلغت نسبة المحدّثين والفقهاء (٦٦٪) من مجموع عددهم في الاقطار .

فليس عجيباً اذن أن تفوز العراق بقصـب السبق في المجال العلمي طوال القرون الثلاثة الاولى ، بل لقد دام هذا التفوق حتى سقوط بغداد سنة (٦٥٦) للهجرة ، وبذلك كانت العراق مركز العلم وحاضرة الثقافة في العصور الذهبية الزاهية بمجد العرب والاسلام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● بغـداد :

أما بغداد فقد كانت بحق عاصمة الحضارة والعلم ؛ كما صورتها لنا الارقام المستخرجة من معجم شيوخ الطبراني ، إذ بلغ عدد المشيخة فيها رقماً لم تُقاربه ؛ بَلْهَ أن تبلغه ، مدينة أخرى ، لكن نموها العلمي كان كان فيما يبدو أحياناً على حساب المدينتين العظيمتين : البصرة والكوفة .

● الكوفة والبصرة :

كان عدد الصحابة الذين نزلوا هاتين المدينتين ـ وقد بُنيتا في وقتٍ متقارب ؛ في السنة السابعة عشرة للهجرة[١] ـ متساوياً . ثم مالبثت الكوفة أن تقدمت على البصرة تقدماً عظيماً في عهد التابعين[٢] ، ولعل ذلك

(١) بلدان الخلافة الشرقية : ٦٤ ، ١٠١

(٢) الكوفة ٦١٧ تابعيا ، البصرة ٢٨٠ تابعيا

راجع الى ازدهار سياسي واجتماعي نالته الكوفة في تلك الحقبة من الزمن[١] . ثم بدأت الكوفة بالتراجع ، وبخاصة منذ ظهور بغداد .

على أننا نلحظ في مشيخة الطبراني تفوقاً ــ بالمقابل ــ للبصرة على الكوفة[٢] ، بحيث غدا الفارق كبيراً بين التوءمين . ويبدو أن الكوفة كانت تتراجع باستمرار ؛ فقد أفاد وصف الإصطخري لها ــ في المئة الرابعة للهجرة ــ أنها دون البصرة في الاتساع والشأن . ثم في سنة (٥٨٠) ذكر ابن جُبير أنه « لا سور لها ؛ فقد استولى الخراب على أكثرها[٣] »

● واسط :

وتأتي في طليعة المراكز العلمية البارزة في العراق خاصة والعالم الاسلامي عامة ؛ إذ احتلت المركز السادس في سلم المدن المذكورة في مشيخة الطبراني .

ثم تتوالى مراكز الإشعاع الثقافي في العراق على النسق التالي : (الموصل ، الأبلة ، الانبار) .

* * *

(الشـــام)

إن الخارطة الثقافية لبلاد الشام ــ كما بدت من خلال مشيخة الطبراني ــ لاتمتاز بالكثافة والتركيز ، بل بالامتداد والانسياح . فبلاد الشام لم تحوِ مركزاً ضخماً تكثّف فيه النشاط العلمي واكتظ بالعلماء

(١) كانت الكوفة اول عاصمة لبني العباس ، وفيها تمت البيعة لابي العباس السفاح سنة ١٣٢ هـ .

(٢) البصرة ١٠٢ من الشيوخ ، الكوفة ٤٧ شيخا

(٣) بلدان الخلافة الشرقية ١٠١-١٠٢

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من كل لون ، وإنما ضمَّت مراكز عدة في الداخل والساحل ، وفي الجنوب والوسط وأقصى الشمال ؛ تلك المنطقة التي كانت تسمى الثغور ، حيث اتخذ الصحابة ومَن جاء بعدهم مراكز علمية وحربية بآن واحد ، يقيمون فيها مرابطين في سبيل الله .

ولقد كشفت طبقات ابن سعد عن أن (٣٠٪) من الصحابة الذين تفرقوا في الامصار استقروا في بلاد الشام خاصة ، ثم تدنَّت النسبة في عهد التابعين فغدت تقـارب (٨٪) ، ثم عادت الى الارتقاء في مشيخة الطبراني فبلغت (٢٢٫٥٪) أي في المرتبة الثانية بعد العراق[١].

---

(١) كنت قد ميزت ـ اثناء فهرستي لطبقات ابن سعد ـ مابين فترتين في عهد التابعين ومن تلاهم : الاولى قبل ظهور بغداد سنة (١٤٥ هـ) ، والثانية بعد ظهورها وحتى آخـر الطبقات التي ذكرها ابن سعد ، واضطررت هنا لادماج الفترتين معاً ، نظرا لتشابه أحوالهما بحيث أصبح عهد التابعين المذكور أعلاه يغطي ـ على وجه التقريب ـ مابين سنتي (٨٠ ـ ٢٢٥ هـ) . ولا بد من التنبيه كذلك الى ان مشيخة الطبراني في بلاد الشام قد عاصرت الفترة الواقعة مابين سنتي (٢٧٣ ـ ٢٨٠ هـ) .

على ان الارقام التي استنتجتها الدكتورة ملكة أبيض من « تاريخ ابن عساكر » قد سارت في اتجاه آخر ، اذ بيَّنت « ان عدد العلماء ازداد ازديادا واضحا في القرن الثاني ، ولكنه ما لبث أن تناقص في القرن الثالث * » .

ومن المتوقع ان يكون ما ذكره ابن عساكر عن علماء الشام أوفى مما ذكره ابن سعد ، وهو ما يدعو الى التريث في اطلاق الاحكام ، لكن تفسير الدكتورة أبيض للارقام لديها قد جاء مضطربا بشكل ملحوظ ، اذ قالت : « وقد حصدت الشام في القرن الثاني ثمار الجهود التي بذلها الخلفاء الراشدون والامويون . وبعد انتقال مركز الدولة الاسلامية الى العراق في خلافة العباسيين بدأت الفعاليات الثقافية والتربوية تتراجع في الشام ، وتجلى ذلك في القرن الثالث بصورة خاصة » .

قلت : إذا كان التراجع قـد بدأ بعـد انتقال مركز الدولة الاسلامية إلى العراق سـنة (١٣٢ هـ) أما كانت تظهر بعض آثاره ، على الأقل ، خلال الثلثين الباقيين من القرن الثاني ؟ ثم كيف تجلت آثاره في القرن الثالث بصورة خاصة ، على حين اثبتت مشيخة الطبراني ان الشام كانت في مطلع الربع الاخير من القرن الثالث في مرتبة متقدمة تلي العراق مباشرة ؟!

اعود فاقول : إن التريث في إطلاق الاحكام في هذا المجال واجب محتم ، وبخاصة اذا عرفنا ان ابن عساكر نفسه قد صرح في مقدمة كتابه الكبير بقوله : « ومع ذلك فمن ذكـرت أقل ممن أهملت ** » .

=

ولعل أول ما يلفت الانتباه في مشيخة الطبراني في بلاد الشام ظاهرة تتصل بالحديث عن الطبراني وصلته بموطنه الاصلي ؛ تلك هي أن عدد المدن والقرى التي زارها الطبراني في الشام أو انتسب اليها علماء شاميون قد بلغ رقماً قياسياً بالنسبة الى سائر الاقطار[1] ، والحـق أن المتتبّع لمشيخة الطبراني يشعر بأن المصنّف كان مدفوعا برغبة قوية الى التنويه بذكر وطنه ومشيخته في وطنه ؛ فهو قد حدّد سماعاته في أنحاء فلسطين ثم في أرجاء الشام تحديداً دقيقاً يشمل الزمان والمكان بحيث أطلعنا بشكل جلي ومنسّق على تنقلاته بين المراكز الثقافية المتعددة في بلاد الشام ، على حين ضنّ بالتحديد نفسه على الاقطار الاخرى ، فبدت المراحل الاخيرة من رحلته غامضة يصعب التعرف اليها . ولقد كان الطبراني ، وهو يصنف معجم شيوخه ، قريب العهد من مشيخته في إيران ، ذلك القطـر الذي استقرّ فيه ستين عاما من حياته أو تزيد ، ومع ذلك فقد سَكَتَ عـن بيان أي شيء يتصل بسماعاته تلك ، حتى اضطررنا للاستعانة بكتاب أبي نُعيم الاصبهاني في « ذكر أخبار أصبهان » للتعرف الى بعض مشيخة الطبراني هناك .

وخلاصة القول : لقد قدّم لنا الطبراني في معجم شيوخه صورةً مشرقة لبلاد الشام وحركتها الثقافية في العقد الثامن من القـرن الثالث الهجري ؛ بشكل لا يُنافسه فيه مصدر آخر فيما نعتقد .

= * (انظر الصفحة ٧٢٨ من الكتاب الذي ضم البحوث الملقاة في الاحتفال بمؤرخ دمشق الكبير ، واصدرته وزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية ، عام ١٩٧٩ م)

** تاريخ مدينة دمشق ج١ / ص ٥

(١) ٤٧ مدينة وقرية ، منها ١٥ في فلسطين ، و٣٢ في سائر بلاد الشام .

● دمشـق :

ساوت دمشق الكوفة في عدد الشيوخ ؛ فاحتلتَّا المرتبة الثالثة في مشيخة الطبراني ؛ بعد بغداد والبصرة[١] . كما يُلاحَظ أنه استقرَّ في دمشق وحدها (٢٦٪) من مجموع المشيخة في بلاد الشام[٢] . وهـذا مايسنحها رتبة متقدمة في الشام خاصة ؛ والعالم الاسلامي عامة .

ثم تتوالى المراكز الثقافية في بلاد الشام حسـب الترتيب التالي : « حمـص ، الرَّملة ، المَصيصة ، أنطاكية ، حلب ، الرَّقة ، طبـريَّة ؛ صور ، حرَّان ، طَرَسُوس ، عكَّا ، غزَّة ، عَسْقلان » . ولقد تمثَّلت هذه المدن مشاعلَ نور على خارطة الشام الثقافية في ذلك العصر .

* * *

(إيـــران)[٣]

في الفترة الاولى من التاريخ الاسلامي لم يكـن لإيران حظٌّ في الثقافة الاسلامية،ففي طبقات ابن سعد ذكرٌ لستَّة من الصحابة استقرّوا في خراسان ، أي بنسبة (١٪) من مجموع الصحابة الذين تفرّقوا في الاقطار. وكذلك كان الشأن في عهد التابعين ؛ إذ لم تزد النسبة على ماذكرنا آنفاً

(١) اما اصبهان فقد تبين ان مشيخة الطبراني فيها موزعة على أكثر من طبقة ، بسبب طول إقامته فيها ، ولذلك فلا مجال للمقارنة بينها وبين غيرها من المدن المذكورة في المعجم .

(٢) واما ما ذكرته الدكتورة ملكة أبيض عن احصاءاتها التي بينت ، أن مدينة دمشق استقطبت اكثر من نصف علماء الشام خلال القرون الثلاثة ، فيصح اعتباره دليلا على ما أهمله ابن عساكر من الشيوخ خارج دمشق ، وقد كان متوقعا ان يصرف جل اهتمامه الى دمشق بخاصة ، في كتاب عنوانه : « تاريخ مدينة دمشق ، وذكر فضلها ، وتسمية من حلها من الاماثل ، أو اجتاز بنواحيها من وارديها واهلها » . (انظر الصفحة ٧٣١ من الكتاب المذكور في الحاشية الاولى من الصفحة السابقة)

(٣) استفدت هذا العنوان من كتاب لسترونج « بلدان الخلافة الشرقية » اذ كان شاملا معظم البلدان الوارد ذكرها في معجم شيوخ الطبراني ، مما له صلة بتلك الجهات .

لكن مع بداية العصر العباسي وظهور بغداد طرأ تحسّن ملموس في وضع ذلك القطر ؛ فقد ارتفع عدد العلماء وتعدّدت المراكز الثقافية ، فذُكِر في الطبقات ثلاثة وخمسون محدّثاً وفقيها موزّعين على خراسان والريّ وهَمَذان وقم ، أي بنسبة (٦٪) من مجموعهم في الامصار . وبذلك غدت ايران في المرتبة التالية للشام مباشرةً .

ثم ارتقت الارقام صُعُداً في مطلع القرن الرابع الهجري ؛ ففي مشيخة الطبراني ذُكِرَ لـ (٢٢٣) شيخاً في ايران وحدها ، أي أنها فازت بنسبة (٢١,٥٪) من كامل مشيخة الطبراني ، وبذلك أصبحت في طليعة الاقطار المُشاركة في صنع الثقافة الاسلامية بعد العراق والشام .

والظاهر أن هذه الحركة العلمية النشيطة التي بدأت هناك في الشطر الثاني من القرن الثاني ، وتوطّدت أركانها في القرن الثالث ، الظاهر أنها استمرت ثلاثة قرون أخرى ، إذ نلاحظ في مشيخة أبي سعد السمعاني (ت٥٦٢هـ)[1] ، وكذلك في مشيخة أبي القاسم بن عساكر (ت٥٧١هـ)[2]، أن ايران كانت في مقدمة الاقطار العربية والاسلامية ؛ في علوم الحديث بخاصــة . بل تبيّن من دراسة « الاربعين البلدانية » لأبي طاهر السِّلفي (ت ٥٧٦ هـ)[3] أن نســبة المدن الايرانيــة في تلك الاربعين قد بلغت (٥٧٪)[4]

(١) نشر في العراق نسخة مختصرة منها باسم « التحبير في المعجم الكبير » ، وهي في الحقيقة تهذيب للتحبير . انظر مجلة المجمع بدمشق : (مج ٤٨/ ج ٢ / ص ٣٧١ ـ ٣٨٠ ، ومج ٥٥/ج١/ ص ١٤٩ ـ ١٥١) .

(٢) مصورة في المجمع بدمشق .

(٣) نسخة الظاهرية (مجموع ٧٦/ق : ٦ ـ ٢١)

(٤) هذه النتائج أعدتها الارقام التي ذكرها ناجي معروف رحمه الله في كتابه « عروبة العلماء

وبهذه المناسبة لا مناص من الاشارة الى ظاهرتين كبيرتين في تاريخ ايران الثقافي :

الأولى ــ هي أن الأهواز امتداد للعراق من الناحية الثقافية :

ظهر ذلك في مشيخة الطبراني بشكل واضح ؛ فالكثافة في المراكز العلمية والكثرة في عدد العلماء في هذه المنطقة ، كلّ ذلك يُلحقها بالعراق وبمناخها الثقافي • ففي الاهواز (٦٧) شيخا موزعين على ثماني مدن ، على حين بلغ عددهم في سائر المدن في ايران (٣٦) فحسب ، أي حوالي النصف ممّن كانوا في الاهواز وحدها • ومن الطريف أن تاريخ وجود الطبراني في الاهواز كان مُلابساً لتاريخ اقامته في بغداد سنة (٢٨٨ هـ)•

والثانية ــ هي استعراب ايران في العصر العباسي :

قد يكون في هذا العنوان بعض الغلو أو المجازفة ؛ لكنني اخترته للتنبيه الى مبلغ تغلغل العربية في ايران في تلك الحقبة من الزمان •

يظهر للمتأمّل في حركة الفتح الاسلامي في المشرق أنها كانت مُرافقة بتيار من الهجرة العربية ؛ تمثّل في موجات متتالية تصدر من قلب الجزيرة العربية وأطرافها باتجاه الشمال • وقد كانت البصرة والكوفة بمثابة رأس جسر في ذلك التحرك الحربي ؛ تتوقّف عنده القبائل العربية من مُضر وتميم والأزد وعبد القيس زمناً ، ثم تتابع المسير الى خطوط القتال في المشرق ، وهذه بعض أمثلة :

=

المنسوبين الى البلاد الاعجمية ـ في خراسان ، (ط سنة ١٩٧٦ م) اذ ذكر في الصفحة (٤٧٧) ان مجموع العلماء في نيسابور والري قد بلغ اوجه في القرون : الثالث والرابع والخامس والسادس من الهجرة •

في السنة التاسعة عشرة للهجرة نزل عثمان أو الحكم بن أبي العاص «تَوَّج» من أرض فارس ففتحها وبنى بها المساجد وجعلها داراً للمسلمين، وأسكنها عبد القيس وغيرهم[١] .

وفي سنة (٥١ هـ) ولّى زيادُ بن أبي سفيان الربيعَ بن زياد الحارثي خراسان ، وحوّلَ معه من أهل المصرَيْن ــ البصرة والكوفة ــ زهاء خمسين ألفاً بعيالاتهم[٢] .

وفي سنة (١١٢ هـ) استعمل هشامُ الجُنَيْدَ بن عبد الرحمن المرّي على خراسان ، فأمدّه بعمرو بن مسلم في عشرة آلاف رجل من أهل البصرة،وبعبد الرحمن بن نُعيم في عشرة آلاف رجلٍ من أهل الكوفة[٣].

فهذه الهجرة العربية من جانب ، ودخول الإيرانيين في دين الله أفواجاً من جانب آخر ، أثمرا في منتصف القرن الثاني للهجرة سبوغ صبغة عربية على تلك الأصقاع . ويبدو أن تلك الصبغة ازدادت عمقاً ووضوحاً في القرنين الثالث والرابع ، بحيث أصبحت العربية لغة الثقافة والعلم ، بل لعلها غدت لغة التخاطب في أيام الطبراني ، الذي عاش الشطر الاول من القرن الرابع في أصبهان ولم يُحسن من اللغة الفارسية إلاّ ثلاث كلمات .

قال يحيى بن عبد الوهاب بن مَنْدَه في الجزء الذي جمعه في مناقب الطبراني : « سمعتُ مشايخنا رحمة الله عليهم يقولون : سمعنا ممّن نثق به ونعتمد عليه أن أبا القاسم الطبراني رحمه الله لم يُحسن من كلام

(١) فتوح البلدان للبلاذري (ط بريل ١٨٦٦ م) : ص ٣٨٦
(٢) المصدر السابق : ص ٤١٠
(٣) المصدر السابق : ص ٤٢٩

الفارسية إلا ثلاثة أشياء ... » ثم ذكر ثلاث كلمات فارسية[١].

ويظهر أن ذلك الوجه العربي للثقافة في ايران قد ظلّ مشرقاً هنالك حتى القرن السادس الهجري ، ثم كانت فتنة الغُزّ ونكبة المغول وتدمير تيمورلنك ضرباتٍ متلاحقة دكّت صرح الحضارة في تلك البلاد وأذهبت ريح العربية في الوقت نفسه[٢] .

● أصـبهان :

كانت أصبهان في مطلع القرن الرابع الهجري مركـزاً ثقافياً كبيراً بالمشرق ، دلّ على ذلك عدد الشيوخ الاصبهانيين المذكورين في معجم شيوخ الطبراني ؛ وهو (١٢٠) شيخاً . ولقد أخلّ ــ رحمه الله ــ بذكر تواريخ سماعاته في أصبهان ، فأورثنا بذلك غموضاً حال دون معرفة تلك المرحلة الهامة من مراحل حياته العلمية الخصبة . على أن كتاب تلميذه أبي نُعَيم « في ذكر أخبار أصبهان » سدّ بعض الثغرات ممّا أخلّ به شيخه ، ولقد تبيَّن من المقـارنة بين الكتابين أن المعجم المذكور أصل من أصول كتاب أبي نُعيم ، إذ تَجَمَّع لديّ من البحث فيهما أسـماء (١١٢) شـيخاً ذكروا في كلا الكتابين ؛ وقد توزّعوا بالشكل التالي :

٧٦ شيخاً اقتبس أبو نُعَيم ترجماتهم من معجم الطبراني ومصادر أخـرى .

١٣ شيخاً اقتبس أبو نُعَيم ترجماتهم من معجم الطبراني فحسب.

(١) الورقة ١٣/أ

(٢) انظر عروبة العلماء في المشرق الاسلامي (ط ١٩٧٤ م) : ٧٨/١

٢٣ شيخاً اقتبس أبو نُعَيم ترجماتهم من مصادر أخرى .

ثم تبيَّن من دراسةتواريخوفيات هؤلاء الشيوخ أن ثمانيةً وخمسين منهم تُوفوا بين سنتي (٢٩٠ و ٣١٠) أي أنهم أبناء طبقة واحدة . فهذا الرقم الكبير دليل نشاط علميّ عظيم نافست أصبهانُ به دمشقَ وغيرها من أمّهات المدن العربية فغدت مركز إشعاع ثقافي وهّاج .

ولانعلم مدة هذا الازدهار الذي عاشته أصبهان ، لكننا نعتقد أنه دام أمداً بعيداً ؛ فقد تردّد ذكرها كثيراً في القرن السادس ، في مشيختي السمعاني وابن عساكر .

وبعد أصبهان تأتي سبعٌ وعشرون مدينة وقرية ايرانية شاركت في مشيخة الطبراني ؛ كان أبرزها على التوالي : تُسْتَر ، عسكر مُكرم، الأهواز ، جُنديسابور ، شيراز ، الـري ، رامَهُرْمُز ، نيسابور ، عبـادان ...

* * *

(مصـــر)

بلغ عدد الشيوخ المصرين المذكورين في المعجم (١٢٣) رجلاً ، أي ما يعادل (١٢٪) من المشيخة ، وهو مايجعل مصر في عداد الاقطار التي تأتي في الدرجة الثانية في المجال الثقافي في ذلك العصر .

والظاهر أن هذا الدور الثانوي كان ملازماً لمصر فيما سبق ؛ فقـد كانت حصّة مصر من الصحابة والتابعين والمحدّثين المذكورين في طبقات ابن سعد ضئيلة ؛ تتراوح بين خمسـة واثنين وثلاثة بالمئة من المجموع لكل فئـة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأول ما يلفت الانتباه في الخارطة الثقافية لهذا القطر هـو كثافة العلماء المذكورين تحت اسم «مصر» ممّا يثير هذا التساؤل : ما المقصود بكلمة مصر ، القُطر أم العاصمة ؟

لقد مرَّ بنا في طبقات ابن سعد ذكرٌ لمصر فحسب ، أما معجم شيوخ الطبراني ففيه ذكرٌ لمصر ، ودمياط ، وتنّيس ، والجيزة ، وقُلْزُم ، ودَميِرْة ، والقنطرة ، وإخميم ، ممّا يوحي بأن المقصود بمصر بلدٌ بعينه ؛ وهو العاصمة .

يؤيّد هذا الاستنتاج أن أبا طاهر السِّلَفي نزيل الاسكندرية ؛ الذي أقام بها ستّين سنة (ت ٥٧٦) ؛ ذكرَ في « الاربعين البلدانية »[١] نه مصر والاسكندرية باعتبارهما مدينتين من المدن التي زارها ، وانتخب من مسموعاته فيها أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً في أربعين مدينة ، ومن الواضح أنه قصد بمصر مدينة القاهرة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاذا ما صحّ أن المقصود بمصر في مشيخة الطبراني عاصمة مصر ؛ فذلك يعني أنها كانت مركزا ثقافيا عظيما يُعد في طليعة المراكز الثقافية في العالم الاسلامي ؛ كما يعني في الوقت نفسه أن الخارطة الثقافية للقطر المصري تمتـاز بكثافة النشاط العلمي في العاصمة وضـموره في سائر الاطراف[٢] .

بقي أن نشير الى أن مصر كانت منـذ العصور الاسلامية الاولى قاعدة المغرب العربيّ ؛ إذ تتّجه اليها وفود طلبة العلم من المغاربة ، وفي

(١) انظر التعليق الثالث بحاشية الصفحة ٥٤٢ .

(٢) اجتمع ١٠٤ من الشيوخ في العاصمة ، وتفرق ١٨ منهم في بقية الاطراف .

معجم شيوخ الطبراني بعض أصداء من ذلك . وقد ازداد مركزها هذا رسوخاً مع فشوّ التعريب في أقطار المغرب ، حتى جمع الحافظ السِّلفي في القرن السادس معجماً هو من أجلّ كتبه وأنفسها ، واسمه « معجم السفر » ذكر فيه تراجم الشيوخ الوافدين على مصر من المغرب والاندلس .

وإذا ما أضفنا الى ذلك ما حلّ بالمشرق الاسلامي والعراق بخاصة من دمار ، بأيدي التتار الذين اجتاحوا كالسيل الجارف معالم الحضارة من تلك الديار ، تبيّن أن مصر كانت المؤهّل الوحيد لاستقطاب النشاط العلمي واستئناف البناء الحضاري في العالم العربي بدءاً من تاريخ سقوط بغداد سنة (٦٥٦ هـ)

* * *

(الحجاز واليمن)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهما آخر حبات العنقود في منظومة النشاط الثقافي في أواخر القرن الثالث الهجري ، إذ بلغت حصيلة رصيديهما معاً (٤٪) من مجموع شيوخ الطبراني .

ويُشير توزّع المشيخة فيهما الى أن عدد الشيوخ في اليمن يقارب عددهم في الحجاز ، وأن عدد المدن والقرى اليمنية المذكورة في المعجم يعدل ضعفي تلك التي في الحجاز ، مما يكشف عن حركة علمية أصيلة متغلغلة في شعاب اليمن ، رغم قلّة الكثافة العددية في الشيوخ .

ولقد أبانت طبقاتُ ابن سعد ــ مع النقص الواضح في بعض الطبقات ــ عن تفوّق الجزيرة العربية بعامّة والحَرَمَيْن الشريفين بخاصة في عهد الصحابة والتابعين . إلا أن التراجع بدأ فيما يظهر اعتباراً

من النصف الثاني من القرن الثاني ؛ فقد سجّلت النسبة انخفاضاً واضحاً في عدد الفقهاء والمحدّثين ، وهو ما انتهى في أواخر القـرن الثالث الى التدنّي الذي كشفت عنه مشيخة الطبراني .

وأخيراً قد يثب على لسان الباحث ـ وهو يتأمّل تنقّل الطبراني فيما بين مصر والحجاز واليمن ـ هذا السؤال : ترى ؛ هل سلك الطبراني سبيل البحر في الرحلة من اليمن الى مصر أو بالعكس ؟ إنه لو صحّ مثل هذا الفرض لكان مفتاح بحث طريف في الصلات ما بين القطرين الشقيقين في تلك الفترة المتقدمة من التاريخ الاسلامي .

* * *

● ـ الملحقات

● توزّع مشيخة الطبراني في الامصار:*

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ـ مشيخته في فلسطين.

	عددالشيوخ
ا ـ سمع في :	
١ ـ طبرية : سنة ٢٧٣ ثم ٢٧٧	١٠
٢ ـ بيت المقدس : سنة ٢٧٤	٤
٣ ـ رَمادة الرملة : سنة ٢٧٤	١
٤ ـ عكا : سنة ٢٧٥	٥
٥ ـ قيسارية : سنة ٢٧٥	٢
ب ـ وسمع في :	
٦ ـ الرَّملة	١٨

* القوائم مرتبة على نسق موافق لرحلة الطبراني .

	عددالشيوخ
٧ ــ غــزّة	٥
٨ ــ يافا	١
٩ ــ أرسُوف (على الساحل ، بين قيسارية ويافا)	١
١٠ ــ سِجلّين (من قرى عسقلان)*	١
١١ــ عجّس (من قرى عسقلان)	١
ج ــ وسمع من شيوخ منسوبين الى :	
١٢ ــ عَسْقلان	٥
١٣ ــ حُنْدُرة (من قرى عسقلان)	١
١٤ ــ عَيْنُون (من قرى بيت المقدس)	١
١٥ ــ أيْلَة (على البحر الاحمر)	١
المجموع ٥٧ شيخاً	

http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ــ مشيخته في سائر بلاد الشام

ا ــ سمع في :	عددالشيوخ
١ ــ دمشق : سنة ٢٧٨ ثم ٢٧٩	٤٧
٢ ــ حمص : سنة ٢٧٨	٢١
٣ ــ حلب : سنة ٢٧٨	١٤
٤ ــ أنطاكية : سنة ٢٧٨	١٥
٥ ــ المصيصة : سنة ٢٧٨ (شمال اسكندرون)	١٦
٦ ــ طَرَسُوس : سنة ٢٧٨ (شمال اسكندرون)	٥

* كذا بكسر الجيم وتشديد اللام ــ في المعجم الصغير والانساب واللباب وتاج العروس ، وضبطها ياقوت في معجم البلدان : « سحلين » بالحاء المهملة الساكنة .

	عددالشيوخ
٧ ــ سنجار : سنة ٢٧٨ (في الجزيرة)	١
٨ ــ جبلة : سنة ٢٧٩ (في الساحل)	٤

ب ــ وسمع في :

٩ ــ الرقة	١١
١٠ــ حرّان (شمال الرقة)	٦
١١ــ الرافقة (متصلة بالرقة)	٢
١٢ــ نصيبين	٣
١٣ــ منبج (شمال حلب)	٢
١٤ــ كفرَبيَّا (بإزاء المصيصة)	١
١٥ ــ شَيْزَر (بين حماه والمعرة)	٢
١٦ ــ عِرْقة (شرقي طرابلس)	١
١٧ــ بعلبك	٣
١٨ــ طَرَطوس	١
١٩ــ جُونية	١
٢٠ــ صُور	٦
٢١ــ صَيْدا	١

ج ــ وسمع من شيوخ منسوبين الى :

٢٢ ــ بيروت	٤
٢٣ ــ اللاذقية	٢
٢٤ــ أذَنَة (قرب المصيصة)	٢

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

	عددالشيوخ
٢٥ــ مَلاطية (في أعالي الفرات)	١
٢٦ــ رأس العين (في الجزيرة	١
٢٧ــ بالــس)	١
٢٨ جبيل (شرقي بيروت)	١
٢٩ــ عــم (قرية بين حلب وأنطاكية)	١
٣٠ــ مَشْغرا (من قرى البقــاع)	١
٣١ــ فَســوْز (من قرى حمص)	١
٣٢ــ حصن مقدية (قرب درعا)	١

المجموع ١٧٩ شيخاً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ ــ مشيخته في مصر

ا ــ سمع في :	عددالشيوخ
١ ــ مصر : سنة ٢٨٠ ثم ٢٨٥	١٠٤
ب ــ وسمع في :	
٢ ــ دمياط	٤
٣ ــ تَنّيس	٤
٤ ــ الجــيزة	٣
٥ ــ قُلْزُم (قرب السويس)	٣
٦ ــ دَمِيْرة (قرب دمياط)	١
ج ــ وسمع من شيوخ منسوبين الى :	
٧ ــ القنطرة	١

٨ ـ إخميم (بالصعيد)	١
٩ ـ بـرقة	١
	المجموع ١٢٢ شيخاً

٤ ـ مشيخته في الحجاز واليمن

ا ـ سمع في :	عدد الشيوخ
١ ـ مكة : سنة ٢٨٣ ثم سنة ٢٨٧*	١٥
٢ ـ المدينة : سنة ٢٨٣	٦
٣ ـ صنعاء : سنة ٢٨٤	١٣
٤ ـ شِبام : سنة ٢٨٢* (قرب صنعاء)	١
ب ـ وسمع في :	
٥ ـ جُـدة	١
٦ ـ زَبيـد (باليمن)	٢
٧ ـ الكدراء (باليمن)	١
ج ـ وسمع من شيوخ منسوبين الى :	
٨ ـ مَعـين	١
٩ ـ جَنَـد	١
١٠ ـ دَبَـر	١
١١ ـ عـدن	١
	المجموع ٤٣ شيخاً

* هذه الارقام محل نظر ، انظر ص : ٥٢٢ ـ ٥٢٣

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥ ـ مشيخته في العراق

	عددالشيوخ
ا ـ سمع في :	
١ ـ بغداد : سنة ٢٨٦* ثم ٢٨٧ ثم ٢٨٨	١٩٩
ب ـ وسمع في :	
٢ ـ البصـرة	١٠٢
٣ ـ الكوفة	٤٧
٤ ـ واسـط	٣٠
٥ ـ الأُبُلَّة	١٠
٦ ـ الانبـار	٨
٧ ـ سُرَّ من رأى	٤
٨ ـ بَلَد (شمال الموصل)	٢
٩ ـ قصر ابن هُبَيْرَة (بجوار بغداد)	٢
١٠ ـ الحديثة	١
ج ـ وسمع من شيوخ منسوبين الى :	
١١ ـ الموصل	١٢
١٢ ـ المدائـن	٢
١٣ ـ بابَسير (من قرى واسط)	١
١٤ ـ عُكبـرا	١

المجموع ٤٢١شيخاً

ARCHIVE

* استفدت هذا الرقم من كتاب « تسمية من يُروى عنه من أولاد العشرة » لعلي بن المديني (نسخة الظاهرية ـ ق : ٦٩/ب) . ثم ثبت لدي بمقارنة ما في المعجم الصغير (٢/٤٨) مع ما ذكره ابو نُعَيم في اخبار أصبهان (٢/٢٢٧)

٦ ـ مشيخته في ايران والمشرق

		عددالشيوخ
أ ـ سمع في :		
١ ـ عسكر مُكرم : سنة ٢٨٨*		١٤
٢ ـ أصبهان : سنة ٢٩٠ ثم ٢٩٥**		١٢٠
ب ـ وسمع في :		
٣ ـ جنديسابور	في الاهواز	٨
٤ ـ عبـادان	في الاهواز	٤
٥ ـ شيراز (عاصمة فارس)		٨
٦ ـ أرَّجـان		٢
ج ـ وسمع من شيوخ منسوبين الى :		
٧ ـ تُسْتَر	في الأهـواز	٢٤
٨ ـ الأهـواز	في الأهـواز	١١
٩ ـ رامَهُرْمُز	في الأهـواز	٤
١٠ ـ مَنُوث	في الأهـواز	١
١١ ـ إيـذج	في الأهـواز	١
١٢ ـ فارس	في فارس	١
١٣ ـ فسـا	في فارس	١
١٤ ـ تَـوَّز	في فارس	١
١٥ ـ إصطخـر	في فارس	١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* هذا الرقم من سير أعلام النبلاء : مج ١٠/ل ١٧٤

** هذا الرقم محل نظر ، انظر (ص ٥٣١)

		عددالشيوخ
١٦ ــ كيش (جزيرة بين عُمان وفارس)		٢
١٧ ــ الـري	في الجبال	٥
١٨ ــ الباطرقان	في الجبال	١
١٩ ــ أسفيذن	في الجبال	١
٢٠ ــ الدينور	في الجبال	١
٢١ ــ برديج	في الجبال	١
٢٢ ــ نيسابور	في خراسان	٣
٢٣ ــ مــرو	في خراسان	٢
٢٤ ــ بَلْــخ	في خراسان	٢
٢٥ ــ فِرياب	في خراسان	١
٢٦ ــ نَســا	في خراسان	١
٢٧ ــ بُغْشــور	في خراسان	١
٢٨ ــ سِجستان		١

المجموع ٢٢٣شيخاً

* * *

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

● توزُّع الصحابة والتابعين والمحدِّثين في الامصار
مستخرج من فهارس طبقات ابن سعد (الاجزاء : ٥ و ٦ و ٧)

أ ـ توزع الصحابة :

في المدن والاقاليم

١ ــ الكوفة	١٥٠
٢ ــ البصرة	١٥٠
٣ ــ الشام	١١٤
٤ ــ مكة والطائف	٨٧
٥ ــ مصر	٣٢
٦ ــ اليمن	٢٧
٧ ــ البحرين	٢٥
٨ ــ اليمامة	٦
٩ ــ خراسان	٦
١٠ــ الجزيرة	٥
١١ــ المدائن	٢
المجموع	٦٠٤

في الاقطار

١ ــ العراق	٣٠٢
٢ ــ الحجاز واليمن والبحرين	١٤٥
٣ ــ الشام والجزيرة	١١٩
٤ ــ مصر	٠٣٢
٥ ــ خراسان	٠٠٦
المجموع	٦٠٤

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كشف بالنسب*

١ ــ العراق	٥٠٪
٢ ــ الحجاز واليمن والبحرين**	٢٤٪
٣ ــ الشام والجزيرة	٢٠٪
٤ ــ مصر	٥٪
٥ ــ خراسان	١٪

* النسبة مقربة الى الاعداد الصحيحة .
** هذه النسبة تمثل الصحابة الذين توزعوا في انحاء الجزيرة العربية ، باستثناء المدينة المنورة .

ب ـ توزع التابعين قبل ظهور بغداد :

في المدن والاقاليم

١ ـ الكـوفة	٦١٧
٢ ـ المدينة المنورة*	٤٠٥
٣ ـ البصـرة	٢٨٠
٤ ـ مكة والطائف	١١٠
٥ ـ الشـام	٩٩
٦ ـ مصـر	٣٦
٧ ـ اليمـن	٢٠
٨ ـ الجـزيرة	١٥
٩ ـ خراسـان	١٤
١٠ـ واسـط	٧
١١ـ اليمـامة	٦
١٢ـ المـدائن	٥
١٣ـ أيلـة	٢
١٤ـ تونـس	١
المجموع	١٦٠٧

في الاقطار

١ ـ العراق	٩٠٩
٢ ـ الحجاز واليمن	٥٤١
٣ ـ الشام والجزيرة	١١٤
٤ ـ مصـر	٠٢٨
٥ ـ خراسان	٠١٤
٦ ـ تونس	٠٠١
المجموع	١٦٠٧

كشف بالنسب**

١ ـ العراق	٥٦٪
٢ ـ الحجاز واليمن	٣٤٪
٣ ـ الشـام	٧٪
٤ ـ مصـر	٢٪
٥ ـ خراسان	١٪

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

* سقط من المطبوعة : الطبقتان الرابعة والخامسة من طبقات المدنيين ، انظر طبقات ابن سعد ٤٠٨/٥ ـ ٤٠٩

** النسبة مقربة الى الاعداد الصحيحة .

ج ـ توزع الفقهاء والمحدثين : من ظهور بغداد سنة ١٤٥ هـ وحتى سنة ٢٣٠ هـ:

في المدن والاقاليم		في الاقطار	
١ ـ الكوفة	٢٣٧	١ ـ العراق	٥٨٤
٢ ـ بغداد	١٦٥	٢ ـ الحجاز واليمن	١٣٧
٣ ـ البصـرة	١٥٢	٣ ـ الشـام	٠٨٢
٤ ـ المدينـة	٠٧٤	٤ ـ ايـران	٠٥٣
٥ ـ مكـة	٠٤٢	٥ ـ مصـر	٠٢٩
٦ ـ خراسـان	٠٤٢	٦ ـ الاندلس	٠٠١
٧ ـ الشـام	٠٣٩	المجموع ٨٨٦	
٨ ـ الجـزيرة	٠٣٤		
٩ ـ واسـط	٠٣٣		
١٠ـ مصـر	٠٢٢		
١١ـ الثغور الشامية	٠١٩	كشف بالنسب*	
١٢ـ اليمـن	٠١٤	١ ـ العـراق	٪٦٦
١٣ـ الري وهمذان وقم	٠١١	٢ ـ الحجاز واليمن	٪١٦
١٤ـ اليمـامة	٧	٣ ـ الشام	٪٩
١٥ـ أيلـة	٧	٤ ـ ايـران	٪ ٦
١٦ـ المدائـن	٤	٥ ـ مصـر	٪ ٣
١٧ـ الانبـار	٣		
١٨ـ الاندلس	١		
المجموع ٨٨٦			

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* النسبة مقربة الى الاعداد الصحيحة .

عَرْف البَشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام

تأليف محمد خليل المرادي المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ
وتحقيق الاستاذين محمد مطيع الحافظ ورياض عبد الحميد مراد
مطبوعات مجمع اللغة العربية ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م

الدكتور محمد عبد اللطيف فرفور

ظلَّ هذا الكتاب مخطوطاً مطّـرحاً على رفوف المكتبات ، يعلوه الغبار ، حتى قيض الله سبحانه له من ينفض عنه غبار القرون ، فجاء الشابان الاستاذ محمد مطيـع الحافظ والاستاذ رياض عبد الحميـد مراد فقاما بتحقيقه وطَبَعَه مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٧٩ .

أما هذا الكتاب فطريف في موضوعه دسم في مادته ، مؤلفه مفتي دمشق الشام في زمنه ونقيب الاشراف فيها ، صدر الدين أبو الفضل محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد المرادي المتوفى في حلب سنة ١٢٠٦هـ = ١٧٩١ م . وكان قد تولى منصب الإفتاء بدمشق الشام سـنة ١١٩٢ وبقي فيه حتى وفاته . وهو بعدُ أديب شاعر كاتب من أبرز علماء عصره في بلده ، ألّف كتابه هذا بعد توليه منصب الافتاء استجابة لطلب أحد علماء عصره الشيخ محمد الدويكي ، فجمع تراجم لسبعة وثلاثين مفتياً بدمشق ، منذ اختيار أول مفتٍ لدمشق سنة ٩٢٢ هـ يوم دخلها السلطان سليم العثماني ورتب أمور الفتوى فيها الى عصر المؤلف ، الى كتب أخرى ألّفها المرادي تجدها في ثبت مؤلفاته في ترجمته الحافلة في أول الكتاب ، على رأس تلك المصنفات سلك الدرر المشـهور الذي عرف به المرادي فيما بعـد .

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

يقع كتاب (عرف البشام) في خمسة فصول ، ضم الفصل الاول مقدمات في الفتوى وآدابها ، وشمل الفصل الثاني تراجم لتسعة مفتين من القرن العاشر ، وفي الفصل الثالث تراجم لأربعة عشر مفتياً من القرن الحادي عشر ، وفي الفصل الرابع تراجم لثلاثة عشر مفتياً من القرن الثاني عشر ، وفي الفصل الخامس والاخير خص المرادي نفسه بترجمة ذاتية ملأها بالتواضع المصطنع المسهب ، وحشاها بأشعاره وذيلها بالمدائح التي قوبل بها من علماء عصره وشعرائهم يوم تسنم منصب الإفتاء ، مما يقال بكل عصر لكل مسؤول ابتغاء الحظوة عند أصحاب السلطان ، وعلى هذا يكون مجموع من ترجم لهم المرادي من المفتين من سنة ٩٢٢ هـ الى آخر القرن الثاني عشر سبعة وثلاثين مفتياً ، آخرهم المرادي نفسه .

اعتمد المحققان في اخراج هذا التراث الدمشقي النافع نسختين مخطوطتين من هذا الكتاب تعود الثانية منهما للاولى لأنها فيما ظهر مبيّضة لها ، فالنسخة الأصل وقعت للمرحوم الشاعر الاستاذ خليل مردم بك الرئيس السابق لمجمع اللغة العربية بدمشق — طيب الله ثراه — وهي قد آلت فيما بعد الى ظاهرية دمشق ، عنها نسخ بقلمه وخطه — كما ذكر المحققان في المقدمة — الأستاذ مردم بك الجزءَ الاكبر من الكتاب في نسخةٍ خاصة به عليها بعض التعليقات والملاحظات ، أهداها فيما بعد ولده الشاعر الاستاذ عدنان مردم بك ، فيما أهدى من كتب أبيه الى المجمع مشكوراً، فاجتمعت للمحققَيْن في الظاهرية والمجمع نسختان من الكتاب هما معتمد التحقيق والمقابلة .

هذا ، وقد ضم المحققان للكتاب ذيلين ليسا من صنع المرادي ، الاول وريقات مخطوطة في ظاهرية دمشق تضمنت تراجم شديدة الايجاز للمفتين

من بدء إحداث منصب الافتاء الى المفتي محمود حمزة ، فهي تشترك مع كتاب المرادي من أوله الى ترجمة المرادي ، ثم تنفرد عنه الى المفتي محمود حمزة المتوفى سنة ١٣٠٥ ، ويرجح أن كاتبها عاصر هذه الفترة الاخيرة أو بعضها وأخذ عمّن سلف ، واني لأميل الى أن تكون هذه الوريقات واسمها الكامل على غلافها (رسالة فيمن تولّى وقضى وأفتى) اختصاراً لكتاب المرادي (عرف البشام) من مطّلع غير عالم كما يبدو ، مع اضافات من المختصِر ، وان لم يظهر على ذلك دليل . وأما الذيل الثاني فهو من صنعة الاستاذ محمد مطيع الحافظ أفادها مما نقله عن عمه المرحوم الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت وهو من كبار العلماء الدمشقيين المعمَّرين، كما أفادها من دراسات له متفرقة في التاريخ وفن التراجم . وهذا الذيل استمرار لتراجم المفتين بعد الشيخ محمود حمزة الى يوم نشر الكتاب.

وقد تتوج كتاب (عرف البشام) بعد خطة التحقيق بمقدمة مفيدة موسّعة اشملت على :

أولاً : ترجمة واسعة للمؤلف ولأشهر آبائه ولأسرته المرادية ، مستقاة من ترجمته الذاتية ، وممن ترجموا له ولأسرته كالبيطار والحصني والجبرتي والزركلي وأضرابهم ، وفي آخرها جدول بنسب بني المرادي ، ثم بحياته ومؤلفاته .

ثانياً : دراسة للكتاب في فصوله وتراجمه .

ثالثاً : نسخ التحقيق المعتمدة ووصفها وصفاً علمياً ووضع رموز خاصة بها .

رابعاً : منهج التحقيق .

خامساً : دراسة عن الذيلين ، ثم تأتي الرواميز .

ويقع الكتاب في نحو ثلاث مئة صفحة ونيف من صفحات القطع

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

العادي ماعدا المقدمات التي استغرقت من أول الكتاب زهاء عشرين صفحة.

فالكتاب قيم يؤرخ لنا الافتاء والمفتين في مدينة دمشق ذات المآثر الخالدات ، والمفاخر الباقيات ، دمشق عرين العروبة ومعقل الاسلام وفسطاط المسلمين في آخر الزمن ـ ليؤرخ لنا عرف البشام ذلك كله في زهاء أربعة قرون .

والعمل جيد ومشكور ، والجهد واضح الاثر ، ومصادر التحقيق ومراجعه كثيرة تدلّ على اطلاع واسع ، وعمق في الدرس ، وأصالة في منهج البحث،زد على ذلك حسْن الاخراج والتبويب وغزارة المعلومات.

على أن الكتاب لم يخل من أخطاء مطبعية قليلة ندّتْ لا تخفى على القارىء استدركها المحققان في الصفحة ذات الرقم ٣١٠ من الكتاب .

وهناك ملحظ أجدني ملزماً بالاشارة اليه ذلك هو قلة شرح بعض المصطلحات العلمية كالدَّوْر وبحر السلسلة وما ماثله فهذا لا يعرفه من القراء إلا المتخصصون وأشباههم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وثمة أيضاً نوع اقتصار في الرجوع الى المراجع الرئيسية في شروح الغريب ضمن التعليق لا في التراجم ، فأشهد أنها مستوفاة في هذا المضمار بقدر واسع ، فقد اعتمد المحققان على شرح كلمتي عرف البشام على القاموس المحيط ، وكان الأليق أن يرجعا الى لسان العرب أو تاج العروس أو الصحاح للجوهري وما شابه .

أما رأيي الخاص في صنعة المرادي فهو أن أسلوب هذا الرجل قديم لزمانه طويل ممل ، فيه كثير من الحشو والإطناب ، وهو رحمه الله معذور في ذلك فليس في وسع الرجل أن يتجاوز عصره وأن يكلمنا بلغة نهاية القرن الرابع عشر وبداية الخامس عشر وهو في نهاية الثاني عشر وبداية الثالث عشر الهجري ، فهو انما يكتب بلغة ذلك العصر . ولا يد لأحد في

ذلك ولا نستطيع مخالفة أمانة النقل والتحقيق والعهدة العلمية فنذهب الى اختصار الكتاب أو تهذيبه . ولكني لو استشرت لاقترحت زيادة ذيل ثالث في آخر الكتاب يُعدُّ ملخصاً لما سبق ، ويُجعل ذيلا لكتاب المرادي، يشتمل على تراجم مختصرة وافية لكل مفتٍ أورد المرادي له ترجمة في كتابه تقع في زهاء خمسة أسطر تضم اسمه الكامل ولقبه وكنيته وولادته ونشأته وشيوخه ووظائفه ومتى تقلد الفتيا ومتى عزل منها ومتى توفي ومكان الوفاة مع ذكر مزيته العلمية ، وحذف ما سوى ذلك من الأشعار والاقوال ، فبذلك نكون قد أرحنا الباحثين من عناء الخوض في تلك التراجم التي أغرقت في الغلو والمبالغات والالقاب والنعوت والاشعار التي لاطائل تحتها ، فمن أراد من الباحثين اللب والجوهر فعليه بهذا الذيل ينقع غلته وينل بغيته ، ومن أراد أن ينقل نص كلام المرادي لغرض توثيق فعليه بالاصل فهو بين يديه ، وتُرتَّب التراجم في هذا الذيل حسب حروف المعجم، ولعل ذلك يكون في الطبعة الثانية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعدُ ..

فذلك كله لا يغض من قيمة الكتاب ولا يصرف النظر عنه ، فهو كتاب قيِّم جداً ، وتحقيقه ونشره كذلك أضفيا عليه حلة سيراء موشّاة ، فاضحى بحيث يجدر بكل من له اتصال بالبحث العلمي أن يطلع عليه نظراً لما حوى من الفوائد التي لاتكاد توجد في غيره ، لاسيما في الهوامش والذيول ، واني لا أبالغ أبداً اذا قلت ان جهد المحققين يوازي جهد المؤلف ان لم يزد عنه والفضل للمتقدم ، فرحم الله المرادي وبارك بالاخوين اللذين نشرا علم المرادي وفضله وخصّا دمشق بلد العلم وعش العلماء بهذه العناية والرعاية التي هي لهما أهل ، وهما أيضاً لكل مكرمة أهل .

دمشق في ١ ربيع الانور ١٤٠٠ هـ **الدكتور محمد عبد اللطيف فرفور**